علي بن سعد خيران وجهوده الإصلاحية من خلال أعماله الصحفية

Ali ben Saad Khairan and his reform efforts through his journalistic works

ط/د سمية بهلول*

جامعة الوادي، كلية العلوم الاسلامية

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الاسلامية – الجزائر

bahloul-soumia@univ-eloued.dz

أ. رشيد خضير

جامعة الوادي، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الاسلامية – الجزائر

Khedir-rachid@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام 2023/10/25 تاريخ القبول 2023/11/25

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية شخصية من شخصيات الجزائر الذين كان لهم حضور بارز في الشأن الثقافي والفكري في الجزائر إبان فترة الاحتلال الفرنسي، إنه الشيخ علي بن سعد المدعو "خرن" أو خيران القماري السوفي. واحد من رجالات الإصلاح الذين كرّسوا حياتهم للدفاع عن الهوية والشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، فكان من أبرز العلماء الذين تمرّسوا فن الخطابة والدعوة إلى تحرير العقول وتنقية الفكر من براثن الجهل والأمية والمسخ الذي كانت تسعى فرنسا إلى إفشائه داخل المجتمع الجزائري، ثمّ إنه كان صحفيا بارزا، جعل من قلمه سلاحا يجابه به السياسة الفرنسية، فكانت من بين إنجازاته الصحفية إصداره لجريدة الليالي سنة 1936م، جعل من خلالها فسحة للعلماء ومناضلي القلم للتعبير عن الأوضاع التي كانت سائدة في تلك المرحلة.

وتهدف هذه الورقة البحثية من خلال الحديث عن هذه الشخصية إلى التعرف على حياته الشخصية والتعليمية والفكرية، وأهم نشاطاته والمناصب التي شغلها سواء في المجال التعليمي أو الصحافي المتمثل بالخصوص في جريدته الليالي الصادرة سنة 1936م.

الكلمات المفتاحية: علي بن سعد، جريدة الليالي، الإصلاح، الصحافة الإصلاحية،العلماء المسلمين، قضايا الجزائريين.

Abstract:

This research paper deals with an Algerian figure who had a prominent presence in the cultural and intellectual affairs in Algeria during the French occupation. He is Sheikh Ali Ben Saad, called 'Kharan' or "Khairan" one of the reform scholars who devoted their lives to defend the Algerian identity. He was one of the most prominent scholars who practiced the art of rhetoric and the call to liberate minds and purify thought from the clutches of ignorance, illiteracy and metamorphosis that France was seeking to spread within Algerian society. He was also a prominent journalist, who made his pen a weapon against French politics, his journalistic achievements was the issuance of the newspaper Al-Layali in 1936, through which he made a space for scientists and pen activists to express the conditions that prevailed at that stage.

This research paper aims by talking about this personality to identify his personal, educational and intellectual life, and the most important activities and positions he held, whether in the educational or journalistic field, especially in his newspaper Al-Layali issued in 1936.

Keys Words:*Ali Ben Saad, Al-Layali newspaper, Reformation, Press, Muslim scholars،Algerian issues*

*المؤلف المرسل

مقدّمة:

لا شك أن الحركة الإصلاحية الجزائرية هي من بين الحركات التي تركت إرثا لا يزال إلى حدّ الساعة يثمر وتنمو بواكره وتمتد جذوره بامتداد الزمن، ولم يكن هذا الموروث ليصل ويتواصل تناقله عبر الأجيال إلّا لقوة وعمق ما أنتجه ولا يزال ينتجه من تراث فكري ومعرفي على جميع الأصعدة الاجتماعية منها أو الثقافية والسياسية والتعليمية... ولم تكن هذه الحركة لتخلد لولا جهود روادها ورموزها الذين أبوا إلا أن يخلّدوا انتمائهم الوطني لبلدهم الجزائر الذي ما سلم من نير الاستدمار الفرنسي وأطماعه في القضاء على الهوية والانتماء الإسلامي العربي. ولم يكن نشاط هؤلاء الرجال موحدا وإنما توحدوا جميعهم على كلمة المقاومة ومواجهة هذا المستعمر الذي جاء ليستولي على وطن بجميع مكوناته الحضارية، وقد تعددت أشكال هذه المواجهة فكان القلم أبرزها –طبعا قبل اندلاع الثورة عام 1954م الذي أصبح السلاح فيها هو الحل الوحيد لاسترجاع السيادة-.

اعتمد مثقفو الجزائر إصدار الصحف وسيلة من وسائل التواصل مع الشعب الجزائري للتعبير عن آرائهم وتنديدهم بالسياسة الفرنسية التعسفية، فكانت جريدة الحق "30جويلية 1893م" أول جريدة أصدرها سليمان بن نقي وكانت تعرف بصحافة الأهالي وهي ناطقة باللغتين العربية والفرنسية، أما الصحف ذات الاتجاه الإصلاحي فقد كانت "الجزائر" لعمر راسم أولهَا، وذلك سنة 1905م بالجزائر

وكانت تصدر باللغة العربية فقط، ثم توالت بعدها هذه الصحف باختلاف اتجاهاتها فكانت منها الأهلية والإصلاحية والهزلية والدينية وغيرها، وهذه التصنيفات تأتي انطلاقا من جهة إصدارها وموقفها من الاستعمار وكذا توجه أصحابها.

ورغم العراقيل التي واجهتها من قبل الإدارة الفرنسية من تصدير وغلق ومتابعة لأصحابها باعتبارها تمثّل خطرا على وجودها بالجزائر، إلا أنها استمرت وقاومت وشهدت الساحة الصحفية في الجزائر أوجّها خلال فترة الثلاثينيات وبخاصة بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين1931م، فحمل مؤسّسوها راية الجهاد والمقاومة على شكل أفراد وجماعات-مع وحدة الرؤية والهدف- ، وما فتئ المستعمر تصدير جريدة إلا وكانت أخرى على وشك الصدور. ومن الجهود الفردية التي ساهمت في المقاومة الفكرية الشيخ "علي بن سعد" المدعو خيران، والذي بدوره قرر تأسيس صحيفة خاصة به وهي جريدة الليالي "1936م" ذات الطابع الهزلي ولكنها أدت ما عليها من واجب تجاه القضية الجزائرية ولولا ذلك ما كان توقيفها سنة 1937م من قبل السلطات الفرنسية بعد صدور أعداد قليلة منها.

فمن هو الشيخ علي بن سعد؟ وما هي أهم القضايا التي عالجها من خلال جريدته؟

1- نشأته وتكوينه:

ولد الشيخ علي بن سعد خيران في (كمار)من وادي سوف سنة 1908، وتعلم القرآن العظيم وحفظه في القرية على يد مقرئين من مشائخ البلدة، ثم تصدى لمجال العلم، فأخذ على الشيخ عمار الأزعر(فضلاء، 2002، صفحة 18). قرأ القرآن على الشيخ الأخضر بن الحبيب بوخلجة، وقرأ المبادئ على الشيوخ أحمد بن القا ومحمد بن البرية في قريته قمار(التليلي، 2022، صفحة 117). ثم هاجر إلى الزيتونة سنة 1927م ومكث بها حتى تخرج سنة 1933م، بشهادة التطويع(زغوان، 2015، صفحة 55). حيث كانت الزيتونة آنذاك قبلة لطلاب العلم فقد كانت منارة علم ومركز إشعاع ثقافي ذائع الصيت تخرج منها العديد من المفكرين والعلماء والمصلحين الذين ساهموا بشكل أو بآخر في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية.

كما كان الشيخ علي بن سعد داعيا إلى تحرير الفكر وإنقاذ الأمة من جميع أشكال التقليد الذي يورث الجمود والتخلف واصفا إياه بالمرض الفتاك والداء العضال مانع يمنع الأمة من النظر في شؤون الحياة...

ويتبين ذلك من خلال خطبة ألقاها في مؤتمر لجمعية العلماء المسلمين مخاطبا فيها أعضاء الجمعية جاء فيها: "... أيها الإخوان، إن من الآفات التي تقعد بالأمم عن الأخذ بأسباب النهوض هي من غير شك عدم إرسال النظر فيما من شأنه أن يذود عن كيان الأمة ويبعث فيها الشعور والإحساس اللذين بهما يعرف بنو الانسان الواجب عليهم فيهبوا مسرعين للقيام بأدائه-لا تاخذهم في ذلك لومة لائم ولا مقالة عاذل. ولا يقوم بأداء الواجب إلا أحرار الفكر – فحرية التفكير تبعث في الشخص الفهم

ومن فهم شيئا اعتقده ودافع عنه وصار عنده واجب لابد من حمايته والذب عنه".(القماري، د ت، صفحة 25)

2- نشاطه:

أولا- انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين:

كان الشيخ علي بن سعد من الشخصيات البارزة في جمعية العلماء وجنديا من جنودها الأبطال. تلميذاً الشيخ لزعر عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد ساهما في تكوين خلية نشطة لجمعية العلماء المسلمين بقمار، فتكونت خلية قوية لجمعية العلماء بوادي سوف، وقد ازدادت هذه الخلية نشاطا وحيوية بزيارة الشيخ ابن باديس وصحبه إلى وادي سوف وزيارة ابن باديس ليست زيارة عادية، بل كانت حدثا له ما بعده، فالرجل لم يأتي للسياحة وزيارة القباب والشيوخ وطلب البركات، وإنما جاء لدعم مشروع وبث فكرة وإرساء قاعدة ثابتة لحركة الإصلاح(تركي، 2002، صفحة 817). لكن ما يلفت الانتباه أن كثيرا من الساعين في دعم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالوادي المركزي هم أولئك الذين أخذوا تعليمهم الابتدائي بالمدرسة الأهلية بالوادي، وقد تحصلوا في غالبهم على شهادة نهاية الابتدائي، ومن بينهم: عبد الكامل النجعي، والهاشمي ابن حميدة (حسني). وهكذا كان دور كل من الأمين العمودي وحمزة بوكوشة، والشيخ علي بن سعد خيران، خاصة في مجال الصحافة(موسى، 2013، صفحة 288).

ثانيا- نشاطه التعليمي:

بعد حصوله على الشهادة رجع بلدته قمار حيث عمل معلّما في كل من قمار وبسكرة وباتنة وبوفاريك وغيليزان وسيدي بلعباس ضمن مدارس جمعية العلماء المسلمين التي كان بها عضوا مهما(العمودي، 2006، صفحة 26)، ثم رجع إلى قمار وبقي بها مدة ولم يعلّم بها في هذه الفترة، ثم طلبه الشيخ عبد العزيز الهاشمي ليكون مدرّسا في الزاوية الهاشمية بالوادي في جملة المدرسين بها، وذلك في سنة 1938 قبيل الحرب العالمية الثانية... وقد بقي الشيخ علي ينتقل في القطر الجزائري من مدرسة إلى مدرسة من مدارس جمعية العلماء، فعلّم في بوفاريك مدة طويلة، ثم انتقل إلى بلدة "الشراقة" ضاحية من ضواحي الجزائر، وتزوج من أسرة محترمة من أهل البلدة، وبقي بأهله فيها إلى أن جاء عهد الاستقلال وانتظم التعليم في الدولة، فانتقل إلى عاصمة الجزائر، وعلّم في الثانويات، وآخر ثانوية علّم فيها في عاصمة الجزائر ثانوية الأمير عبد القادر قرب حيّ باب الواد(التليلي، 2022، الصفحات 118-119).

ثالثا- نشاطه الصحفي:

أصدر الشيخ علي بن سعد جريدة الليالي في فيفري 1936م بالجزائر، وكان مديرها والمسؤول عن تحريرها، اتخذت " الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة" شعارا لها، كما صرحت باتجاهها

في صفحتها الأولى بأنها نشرة، فكاهية، انتقادية، أدبية، كانت تصدر مرتين في الشهر، في أربع صفحات، وتطبع في مطبعة فرنسوية وعربية، نهج قسنطينة، عدد44، الجزائر*. والواقع أن الشيخ "حمزة بوكوشة" كان ممن أعان في تأسيسها وتحريرها، وإن لم يذكر اسمه على صدر الصفحة الأولى من الجريدة.

وقد سعى الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ علي بن سعد أن يكون صاحب امتيازها هو جوكلاري محمد الشريف، محتمين تحت جنسيته وضمان نزعته الإصلاحية الوطنية في مطبعة صاحبها فرنسي "لأنه سهل على أصحاب الجريدة الدفع في ثمن الطبع"(غنابزية، 2014، صفحة 61).

غير أن جريدة الليالي لم تستمر في الظهور طويلا شأنها في ذلك شأن الجرائد الإصلاحية الوطنية الأخرى. ويقول صاحبها أنه صدر منها عشرون عددا ثم توقفت، لأن الإدارة الاستعمارية كانت تضطهدها، وتتصرف تصرفا عنصريا إزاءها حيث لم تمنحها رخصة التوزيع في البريد وأنها قد طالبت في أحد أعدادها بالاستقلال للجزائر، فحقد الاستعمار عليها وعاملها هذه المعاملة الشاذة.(ناصر، 2006، صفحة 226).

سجنه:

(بعدما درّس في الولايات الأخرى)...ثم رجع إلى قمار ومكث فترة دون تعليم، وبعد هذه الفترة استدعاه الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي ليكون مدرسا في الزاوية الهاشمية بالوادي ضمن مجموعة من المدرسين وكان هذا سنة 1938م قبيل الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الفترة أغلقت الحكومة الفرنسية معهد الشيخ عبد العزيز الهاشمي وزجت ببعض رجاله في السجن بتهمة التأمر على الحكومة(عوادي، 2011، صفحة 134).

بمناسبة مرور مدير الشؤون الأهلية لويس ميو (Louis MILLIOT) بقرية قمار تجمع المئات من المواطنين للاحتجاج على مرسوم 08مارس 1938 الذي يحد من حرية التعليم العربي الحر. وبعد أيام قليلة فقط من زيارة مدير الشؤون الأهلية، حاصرت عدة قوات عسكرية فرنسية المنطقة وألقت القبض على محرك هذه المظاهرات وهو الشيخ عبد العزيز الهاشمي، شيخ الطريقة القادرية بعميش ومعه بعض أقطاب الإصلاح الآخرين ومنهم عبد القادر الياجوري وعلي بن سعد وعبد الكامل وساقتهم إلى سجن الكدية(صاري، د ت، صفحة 45).

لم يثر هؤلاء العلماء ضد السلطة ولا تداخلوا في أوضاعها الإدارية ولا أسسوا لتقويمها منظمات سياسية. وإنما قاموا بواجبهم الديني في بلادهم سوف وقراها، ينشرون الإسلام ولغة الإسلام وينهضون بإخوانهم في دائرة دينهم وكان أهل تلك البلاد أرق أفئدة وأصفى عقولا وأمتن دينا وأسرع

*ينظر: جريدة الليالي، السنة الأولى، العدد 12، (Micro film-Juillet 1966- Bibliotheque national)

إجابة للحق والخير فانثالوا عليهم يجيبون داعي اللّه ويقبلون على تعلم الدين ولغة الدين(طالبي، 1968، صفحة 418).

هذا وقد قدم الشيخ ابن باديس خطابا ألقاه بمناسبة الإجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي صبيحة يوم السبت 29 رجب. يتحدث فيه عن الأحكام التعسفية للإدارة الفرنسية و زج العلماء في السجون، مؤكدا أن الجمعية تواصل مسيرتها وفق المبادئ والأهداف والمواقف المتفق عليها.

وفي هذا قال الشيخ ابن باديس مبرزا السبب التعسفي لسجن العلماء: "لا واللّه ما ثرتم إلا على الجهل والرذيلة. وما أسأتم إلا للأثرة والجبرية، وما تخطيتم إلا حدود الجمود والخرافة، ولا تبغون إلا الحق والخير والعدل والإحسان"(طالبي، 1968، صفحة 563).

كما طالب ابن باديس معاملة هؤلاء المساجين العلماء معاملة تليق بمكانتهم الدينية والثقافية حيث لا يمكن حشرهم مع اللصوص والمجرمين لأنهم سجناء الرأي والأفكار السياسية.

مكث الشيوخ بالسجن حوالي أربع سنوات ثم حكم عليهم بالإبعاد والإقامة الجبرية، غير أن صداهم وإشعاعهم الثقافي بقي ينير درب النهضة والوثبة نحو الإنعتاق.(مياسي، 2007، صفحة 223)

يقول ابن باديس: "سجون واتهامات ونكبات: ثلاث لا تبنى الحياة إلا عليها، ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقة إلا على أسسها. وأمة أخذت تقدم الضحايا في سبيل سعادتها، حقيقة بأن تنال السعادة وتهنأ بها... ومن رام أن يحول بيننا وبين فكرتنا التي نؤمن بها، ويؤمن بها المؤمنون الصادقون، فقد حاول عبثا قلب الحقائق. ونحن لذلك لا نتزحزح عن تلك الفكرة قيد شعرة، مهما طال سيل الكوارث على أمة لها ما للشعب الجزائري من الصفات المرغوب فيها، الكامنة كمون النور في الكهرباء"(العسلي، 2010، صفحة 98).

نشاطه بعد الاستقلال:

يقول الشيخ الفضلاء: حج بيت اللّه الحرام معي في سنة 1963، وكان معنا في الرحلة الشيخ حمزة بوكوشة، والشيخ محمد العابد الجلالي، والشيخ الحفناوي هالي، وعدد كبير من الشيوخ والأساتذة.

وإثر عودته من الحج دخل في إطار التعليم... ولما تم إدماجه وتصنيفه كبقية زملائه في إطارات التربية كان من بين أساتذة التعليم الثانوي، فعيّن أستاذا في "ثانوية عقبة" في العاصمة ولم يبرحها.(فضلاء، 2002، صفحة 21)

وفاته:

توفي الشيخ وهو في قسمه مع تلامذته، إذ وقع مغشيا عليه والكتاب بيده فحمل على عجل إلى المستشفى وفيه أسلم الروح لبارئها في يوم 8 فبراير 1974 ودفن في اليوم الموالي بمقبرة زواوة

بالشراقة، حيث صلّى عليه وأبّنه صديقه الشيخ حمزة بوكوشة، وقد جاء في كلمة تأبينه ما يلي: "لقد كان الشيخ علي بن سعد رحمه اللّه يتوارى من الأضواء لا يتملق أحدا ولا يخشى أحدا إلّا اللّه، لقد مات في الدرس والكتاب بيمينه، فطوبى له فسيبعث والكتاب بيمينه".(فضلاء، 2002، صفحة 21)

قضايا الإصلاح في جريدة الليالي –عرض وتحليل:

الأعداد: 11- 12- 13-15- 16. هي الأعداد التي تمكنّا من الحصول عليها من ميكروفيلم المكتبة الوطنية بالعاصمة، الجزائر، وكلّ عدد يحوي بداخله أربع صفحات. وعلى الرغم من عدم امتلاك جميع أعداد هذه الجريدة إلا أن لسان حالها واضح من خلال القضايا التي عولجت وكذا طريقة وأسلوب طرحها.

ولعلّ المتصفح لأعداد الليالي يلمس قوة الطرح وحدّة الخطاب، والجرأة في معالجة القضايا ومخاطبة الإدارة الفرنسية وحتى التيارات الأخرى من أحزاب وجمعيات وشخصيات وطنية وأجنبية.

بالإضافة إلى تنوع كتّاب المقالات فيها، وفي هذا الشأن يقول محمد ناصر: "والمطّلع على محتويات جريدة "الليالي" يعجب بنزعتها الإصلاحية الوطنية، وأسلوب تحريرها الأدبي الجميل، فقد كان المحررون بها كتّاب عرفوا بتحريراتهم العذبة من أمثال محمد السعيد الزاهري، والشيخ حمزة بكوشة، والشاعران الطاهر بوشوشي ومفدي زكريا."(ناصر، 2006، صفحة 222)

وبالحديث عن مفدي زكريا وجدنا في العدد ال16 اتهاما له من بعض الثقات بأنه يبثّ سموما عدائية بين الشبان وجمعية العلماء من حيث يوهمهم بأنه يدعوهم إلى الوحدة وتوعدوه بفضح أشياء أخرى إن هو تمادى في ذلك (يُنظر الجريدة). وهذا يدلّ على شيئين: إما أن مفدي زكريا قد انحاز عن الطريق الذي بدأ فيه أو أن المؤرخين لم يتمكنوا من معرفة أصحاب الأسماء المستعارة بشكل دقيق.

كما يلاحظ أيضا من خلال صفحات الجريدة ثبات عناوين بعض الأعمدة في الأعداد من بينها: بريد الليالي: تهتم بكل ما يرد إلى الجريدة من **مراسلات داخلية:** كتلك التي نجدها في العدد11 الذي كان فيه حديث عن زيارة مندوب جريدة الليالي الشيخ "الطيب بن الحاج عبد اللّه" إلى سيدي عيسى؛ بيّن في هذه الزيارة للناس أهمية الليالي ومبدأها محذّرا الناس من (اليفاش) واصفا إياه بالمشعوذ العدو لكل عمل خيري يعود على الأمة. وأيضا العدد 12 تضمن أخبار متفرقة مختصرة حول أحداث مستجدة في مختلف مناطق الوطن تهم أعضاء الجريدة والمواضيع التي طرحت في الأعداد الماضية لها. بالإضافة إلى **مراسلات خارجية:** كتلك التي وردت في العدد16 وهي عبارة عن عدّة رسائل أرسلها ثقات من باريز–وعلى ما يبدو أنهم ممثلوا الفكر الإصلاحي هناك- تلخصت في إبداء الرأي والامتعاض من بعض الشخصيات كمصالي الحاج الذي قدم دعايات ضد المؤتمر، كذا الطعن في بعض العلماء، سياسة التفريق والشقاق الذي تريد أن تحدثه بين المسلمين، الوطنية الصادقة هي المبنية على

أساس العلم والدين، وكذا تحرير لغة البلاد.. وكذا أراء حول الجمعية ورئيسها وكذا أعضاء المؤتمر واللجان الشبانية، وانتقاد لمفدي زكريا-تحدثنا عنه سالفا-.

1-الجريدة وجمعية العلماء المسلمين:

باعتبار رئيس تحرير الجريدة "الشيخ علي بن سعد" واحدا من أعضاء الجمعية وممثليها في الجنوب الشرقي للجزائر، فإنه كان يحرص في جريدته على نقل كل ما يتعلق بأنشطة وقرارات جمعية العلماء ومستجداتها، حيث لا يخلو عدد من مقال فيه إما عرض لأنشطة نوادي الجمعية –العدد 11- أو إعلانات حول اجتماع العلماء وانتخاب الأعضاء –العدد12- وكذا ردود حول المخالفين ومتهمي الجمعية والعاملين على تشويه سمعتها ومعارضي أفكارها وأهدافهم والطاعنين في نبل المبادئ التي ينادون بها.

ومن خلال اطلاعنا على محتويات الجريدة فإن ما نلاحظه هو الحفاظ على أهداف الجمعية من اهتمام بحقوق الشعب الجزائري ودعوة إلى التعليم ونبذ التقليد، وكذا الوقوف ضد كل من يتكالب على الجمعية -ومسعاها الذي يقدم مصلحة المجتمع على مصلحة الأفراد- ويتودد للحكومة طمعا في مصالحه الشخصية.

إلا أن الفرق بين الجرائد المنتسبة إلى فئة الإصلاح وجريدة الليالي هو أن الليالي ذات لهجة شديدة مباشرة، تخوض في السياسة بشكل صريح وتواجه الحكومة بخطابات قوية تصل إلى التهديد المباشر ونعتها بصفات قبيحة، في حين أن الجرائد الأخرى كانت مسالمة للإدارة الفرنسية، خطاباتها السياسية غير مباشرة وتهتم بشكل كبير على المواضيع الدينية والاجتماعية والثقافية.

2-الليالي والقضايا السياسية:

إنّ أول ما يمكن ملاحظته من خلال قراءة الجريدة هو المواضيع السياسية التي ما اعتاد قراء الصحف إبان تلك الفترة قراءتها تجنّبا وحرصا من أصحابها على عدم الولوج في صراعات ومشاكل مع الإدارة الفرنسية، إلا أن الليالي ورئيس تحريرها الشيخ علي بن سعد كانت شديدة اللهجة عند طرح المواضيع المتعلقة بالحياة السياسية في الجزائر، فنجد مثلا في افتتاحية العدد12 مقالا بعنوان "الخنجر الشيوعي تحت باقة ورد الصداقة الإسلامية" وفيه ردّ على مقال في مجلة "النهوض" كتبه الصحفي (شارل كليمب) وقد وصفه بن سعد بأنه من الذين ينظرون إلى الإسلام والمسلمين بعين عوراء وأخرى عمياء أسس صحيفة منذ ثلاثين سنة وهي معروفة لدى قرائها بكتاباتها الأثيمة وتقولاتها الباطلة وسفاسفها التي يتنزه عن قرائتها كل عاقل يدرك وبال عاقبتها..

ويوضح صاحب "الليالي" بأن التعاون بين العلماء والشيوعيين إنما المقصود منه المصلحة الوطنية قبل كل شيء، وقد زاد من هذا التقرب شراسة المعمرين والمتطرفين من المستعمرين الذين يصرحون بمقصدهم الاستعماري الرهيب كمثل قولهم "المسلمون لهم ما يزيد على القرن تحت

النفوذ الفرنسي لم يجدوا عنان القول فسيحا في يوم من الأيام إلا في الزمن الذي انتخبتم فيه فلان وفلان... (من الشيوعيين) فكيف بعد سماعنا هذا الكلام تريد منا إلا أن نصادق الشيوعية ونعمل معها يدا في يد... ولو أدى ذلك ما أدى بنا حيث لم نجد أدنى إحسان لما كان قبلهم..."(ناصر، 2006، صفحة 225).

من بين المواضيع السياسية أيضا التي سلطت الصحيفة الضوء عليها: المطالب الجزائرية في البرلمان، كما جاء في عنوان افتتاحية العدد 13، حيث قدم بن سعد استفسارا للإدارة الإفرنسية حول موقفها من مطالب الأمة الجزائرية التي قدمها الوفد الجزائري والتي يطالب من خلالها البرلمان منح الحقوق للجزائريين، ويظهر من خلال هذه المقالة شجاعة ابن سعد في مخاطبته لفرنسا ولهجته الشديدة من أجل الرد على هذه المطالب خاصة وأن الإدارة الفرنسية تتعمد ذلك، إلا أنه أصر على انتظار الرد عاجلا أم آجلا، إما بالقبول أو بالرفض.

ثم إن خطاب جريدة الليالي انتقل من الصراحة والجرأة في طرح القضايا إلى التهديد المباشر للإدارة الفرنسية (الواعر، 2021، صفحة 563). حيث نجد في الصفحة الأولى من العدد 15 مقالا بعنوان: "مصلحة إفرنسا والجزائر تفرض على حكومة الواجهة الشعبية التعجيل بالمطالب" وهي المطالب التي رفعها الوفد الجزائري للبرلمان الفرنسي، حيث تسبب تأخير الرد استياء الشعب معتبرين ذلك تماطلا وتسويفا غير مبرر ينم عن حقد الحكومة واستهتارها بالحقوق التي يطالب بها الجزائريون، فكان لعلي بن سعد -مسؤول الجريدة- ردا قاسيا بلهجة تميل للتهديد قائلا: "... أما الحكومة فمن اللائق بها في الوقت الحاضر أن تغتنم رضاء الشعب الجزائري الذي كانت له معها حياة طويلة كلها أعمال لفائدة فرنسا. فإذا ضيعت الفرص فإنها ستندم عن قريب ولاة ساعة ندم."

3-محمد الصالح بن جلول من خلال الجريدة:

اللافت للانتباه في مقالات جريدة الليالي هو هجومها الواضح، على ممثل النواب وقتئذ محمد الصالح بن جلول، فقد تعرضت له بالسخرية والهجوم أكثر من مرة، وعارضت موقفه من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصراعه مع ابن باديس أيام المؤتمر الاسلامي(الواعر، 2021، صفحة 206). وقد كان موقف جريدة الليالي من النائب بن جلول شديدا جراء موقفه من جمعية العلماء المسلمين فبعد انعقاد المؤتمر الإسلامي وسماع أخبارعما يقوم به كتبت قائلة: "أن الحكيم ابن جلول لم يدع الطعن في حركة جمعية العلماء وحركة الشبان والوطنيين الأحرار منذ سفره إلى فرنسا الأخير. وقد أشيع أنه ألف أخيرا وفدا من المتجنسين المعروفين بأعمالهم ضد مصالح الأمة. وجدد مطالب أخرى غير التي اتفق عليها الوفد الإسلامي الجزائري وهي ترمي إلى أمور أهمها قتل الحركة الدينية الحديثة. قتل الحركة الوطنية. إدماج المسلمين الجزائريين في الجنسية الافرانسوية. موت اللغة العربية وعدم الموافقة على نشرها ونحن لا نستغرب صدور هذا من أمثال الدكتور ابن جلول."

(ينظر العدد 12 من الجريدة، بعنوان "الكلام جد ليس بالهزل") ، كما نجد أيضا في العدد 16 مقالا بعنوان "ابن جلول في الميزان" حيث تم عرض ما دار بين ابن جلول وصديق له خلال تواجدهما بالعاصمة، حدّثه ابن جلول عن نيته التي يجهز بها للانتخابات في قسنطينة وأنه واثق بأن الأمة سوف تؤيده، إلا أن صديقه حذّره من محاربة العلماء باعتبار قيمتهم في المجتمع الجزائري وقوة حضورهم إلا أنه صمم على ذلك، معلنا بصريح العبارة حربه على العلماء، حيث قال: "... وأدوس العلماء أيضا، فقال له الصديق لا تنسى أن المؤتمر يعاكسك في ذلك، فقال ابن جلول... وأدوس المؤتمر أيضا، فقال له الصديق ولا تنسى أن الأمة مع العلماء.." أجابه ابن جلول بأن الأمة مع المرابطين، لكن الصديق دافع عن العلماء وضرب له مثالا عن تجربة (مسيو ميرانت) الفاشلة بحق العلماء، إلا أن ابن جلول بقى عند قراره بمحاربة العلماء، فعند ذهابه لقسنطينة استدعى جمعية وحدة النواب وطلب منهم تأييده ومساعدته على حرب العلماء فاحتجوا عليه جميعا إلا الدكتور الأخضري وبن جامع وبن خلاف... ومن خلال احتياله ومكره في شراء أصوات الناخبين وإقامة "الزردة" والتحايل على المنافسين تمكن من الفوز بالانتخاب إلا أنه كان يتظاهر فقط بالفرح لأنه كان يعلم أن الفوز غير مستحق. (ينظر في الجريدة). وفي العدد 13 من الجريدة صدر مقال يوبخ فيه صاحبُه الدكتور ابن جلول عمّا صدر منه في حربه ضد العلماء جاء فيه: ".. ولم تدر أنك بإساءتك لجمعية العلماء قد استوجبت سخط شعب كامل بل سخط العالم الاسلامي أجمع لما يعرفه ويعلمه كل من يدرك الجهود الجبارة التي بذلتها الجمعية في سبيل إحياء هذا الوطن مع كونها لا تطلب الحصول على أصوات الناخبين.." وهكذا لم تخل أعداد صحيفة الليالي من حديثها عن ابن جلول، لما كان يقوم به من أفعال وما يتقول به من خطابات ضد العلماء ومخالفته للمطالب والأهداف التي كانت تدعو الأمة إليها.

4-الليالي وأسلوبها التهكمي:

وكانت (الليالي) تساند الإصلاح بقوة ولكنها تميل أيضا إلى أسلوب الأدب والفكاهة وتنتقد الاتجاهات المعارضة للإصلاح(أبوالقاسم، 2007، صفحة 257). فقد وصفها –لي- صاحبها بأنها كانت "صحيفة انتقادية اجتماعية لا تنتسب لأحد". وقد كتب علي خيران، صاحب الجريدة، مقالة ينتقد فيها مدير الشؤون الأهلية المسيو "ميّو" يومئذ. ومازال الشيخ يتدرج في حديثه إلى أن ربط بينه وبين مواء القطط، من حيث أنها حين تموء، تحدث صوتا على شاكلة: "ميّو!ميّو!(مرتاض، 2009، الصفحات 244-245).

الليالي والقضايا الاجتماعية:

- اهتمت أيضا جريدة الليالي ومحررها الشيخ بن سعد بمعالجة القضايا الاجتماعية منها التعليم، والذي يعدّ ركيزة أساسية من ركائز النهوض الحضاري للمجتمعات. فنجد بن سعد في مجتمع تفشت فيه الأمية وحوربت المدارس والكتاتيب مهتما وناقدا للطريقة التقليدية التي يتعلم بها الأطفال آنذاك،

داعيا إلى التعليم المنظم. جاء في افتتاحية العدد11 من الجريدة مقال بعنوان "ضحك وسخرية واستهزاء من سواح أجانب بمؤدب صبيان" يتحدث فيه المحرر عن منظر رآه أثناء سيره واصفا إياه بالمحزن المخجل، قال: "يتمثل هذا المنظر في مؤدب يعلم الأولاد على الطريقة القديمة وصبيان صغار متراصين بعضهم حذو بعض (كالسردين) في بيت ضيق وغير نظيف وسواح أجانب يتفرجون ويضحكون ويستهزءون." ثم يواصل وصف ما رآه: "من صياح الأولاد الصادي المنخرم أولا ثم من حالتهم التعيسة التي أضحكت السادة الأجانب حتى أفرطوا؟ عوض أن تبكيهم لو كانوا آدميين ومن مؤدب كالخشبة ملقى بينهم وبإحدى يديه عصاة طويلة وبالأخرى قصيرة يضرب بهما ألواح الصبيان..."

ربما يتأسف علي بن سعد عن ما وصل إليه التعليم آنذاك، إلا أنه كان الباب الوحيد للفئة الأكبر في المجتمع الجزائري كحلّ للأمية المتفشية خاصة والسياسة الفرنسية التي جاءت خصيصا لقتل الهوية التي تُكتسب أساسا عن طريق التعليم، فقد حوربت المؤسسة قبل المعلم، وسُجن إمام المسجد، ومعلم الكتائب والمدرسة.

وهنا يتابع بن سعد تحسره مخاطبا أولئك المستهزئين الأجانب: " ان ما تسخرون منه هو أثر من الآثار التي رضيت لنا به دولة العدل والمساوات فيما ينوف عن مائة من السنوات.." (ينظر ع11 من جريدة الليالي)، وهي رسالة قوية صريحة للإدارة الفرنسية جراء قوانينها التعسفية في حق الشعب رغم المطالب التي يرفعونها فإنها تقابل إما بالرفض أو بالإهمال. وهذا ما أكد عليه الشيخ بن سعد في جريدته مرات عديدة.

- ركزت جريدة الليالي على فئة الشباب باعتبارهم المثال الأعلى والمقياس الصحيح للأمة، يحذرهم فيها صاحب المقال الذي وقع اسمه ب "شاب وطني" في العدد الثالث عشر من الجريدة يحذرهم من الآفات الاجتماعية ويقدم لهم نصائح حتى يكونوا فعالين في مجتمعاتهم. ومن أهم النقاط التي تحدث فيها:

- الاندفاع في التيارات من غير تفكير وعواقبها السلبية التي تهدد الأمة بالفشل.
- ضرورة السير بتؤدة وتثبت صحيح وعزم صادق وأن يجعل رائده الأساسي في انخراطه في الحركات والأحزاب هو إصلاح هذا الوطن.
- احترام العاملين كيفما كانوا، ومهما كان الاختلاف موجودا بين أنصار كل حزب أو فريق يخالفه الرأي أو ينتصر لأفكار لا تتماشى مع أفكاره، فالذي لا يرى بأن رأيك صائب ليس بالضرورة يحاربك.

- الابتعاد عن سياسة التفريق، ومراعاة حرية الفكر، لأنها –حسب صاحب المقال- آلة من آلات المكر والكيد، وأن الابتعاد عنها وعدم الخوض فيها سبب نجاح الأحزاب في أمة واحدة، وبالتالي العيش في بيئة متكاملة تسعى كلها إلى إصلاح الوطن والنهوض به.
- أكدت الجريدة على ضرورة الاتحاد في العمل والثبات على المبدأ وتوافر القوى وكذا الذود عن الحقيقة من أجل رفع مستوى الحالة الاجتماعية للوطن.
- الاشادة بتجربة عبد الحميد ابن باديس وكيف أنها غيرت المفاهيم وأسست لبواعث التقدم والنهوض.
- محاربة الآفات الاجتماعية كالنفاق والكبر وعمل الأطفال، وترك السفاهة، ورفض كل أنواع التفرقة والشعبوية والتعسف.

خاتمة:

تعددت طرق ووسائل الجزائريين في مواجهة الاستعمار الفرنسي مذ وطئت أقدامه أرض الجزائر، فثاروا أفرادا وجماعات، ونجد أن فترة الثلاثينيات مرحلة فارقة في تاريخ الجزائر، فبالإضافة إلى الثورة الفكرية التي أحدثها رجال الإصلاح في المجتمع الجزائري والتي ركزت على قوة الكلمة من خلال الوعظ والإرشاد وكذا التعليم في المدارس والكتاتيب والمساجد، نجد أيضا نشاطا بارزا للصحافة الجزائرية إذ سعت النخب لإنشاء الصحف والجرائد وجعلها منبرا للكلمة والجهاد القلمي والفكري رغم المضايقات والمصادرة التي كانت تلحقها من قبل الإدارة الفرنسية، إلا أن ذلك لم يمنع استمرارية هذا النظال. وكما جاء في هذه الورقة البحثية التي سلطت الضوء على جهود واحد من هؤلاء العلماء الذين ساهموا في تحرير العقول ومقاومة سياسة الإستدمار وهو "علي بن سعد خيران" واحد من أقطاب الإصلاح في المنطقة الجنوبية والذي كان له الأثر البارز في منطقته ومناطق أخرى في ربوع الوطن، ومن خلال جريدته "الليالي" التي أصدرها سنة 1936،إذن فالليالي مثلها مثل بقية الجرائد التي سعت للإصلاح وفتح إشعاع فكري وثقافي آخر، ولكن بطابع هزلي تهكمي وعلى الرغم من عمرها القصير إلا أنها بلغت صوت الإصلاح وأهداف الحركة الإصلاحية تلك الفترة معايشة أوضاع المرحلة، وفي الأخير –ومن خلال اطلاعنا على هذه الجريدة نستنتج:

- استخدام الأسلوب الهزلي في طرح المواضيع ومعالجتها.
- المباشرة في الخطاب مع الشخصيات والأحزاب وكذا الإدارة الفرنسية من أحزاب وبرلمان وهيئات إدارية.
- استخدام اللهجة الشديدة والألفاظ العنيفة مع المسيئين للجمعية وللجزائريين عامة.
- أحيانا تصل شدة اللهجة إلى استخدام التهديد المباشر للمسؤولين الفرنسيين.

- الاهتمام بتغطية نشاطات جمعية العلماء المسلمين وتنقلاتها خاصة في الجنوب الشرقي الجزائري.
- طرح المشاكل والتعسف الذي يعاني منه الشعب الجزائري في حقوقه المدنية والسياسية، والمطالبة بتحسين أوضاعه المادية والاجتماعية.
- معالجة القضايا الاجتماعية ومحاربة الآفات التي تدمر عقول الشباب وتحد من فعاليتهم في المجتمع.
- الاهتمام بالتعليم والدعوة إلى تحرير العقول من التقليد والجمود واعتماد أساليب منظمة في التعليم.
- دعمها للحركة الإصلاحية عموما ولروادها بشكل خاص.
- المزاوجة بين النثر والشعر في إيصال الخطاب ومعالجة القضايا والردود.
- ترك مساحة للمراسلات والبريد الذي يرد إلى جريدة الليالي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، آثار ابن باديس، تح: عمار طالبي، ج3، قسم السياسة، باب: حول مساجين العلماء. دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1968م.
2- إبراهيم مياسي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.
3- أبو القاسم سعد اللّه، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2007م.
4- أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004م.
5- بسام عسلي، عبد الحميد بن باديس، دار النفائس، بيروت- لبنان، 2010م.
6- جريدة الليالي، السنة الأولى، العدد 12، binbliotheque national -micro film-Juillet 1966
7- خطبة الشيخ علي بن سعد القماري، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، 1937م.
8- صبرينة الواعر، جريدة الليالي وقضايا الجزائريين (1936-1937)، مجلة عصور الجديدة، مج11، ع2، مارس 2021م.
9- عبد القادر تركي، الشيخ عمار بن لزعر ودوره الإصلاحي في وادي سوف، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، مج6، عدد خاص، 2022م،
10-عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية الجزائرية في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2009م

11- علي غنابزية، مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية1900-1986، مديرية الثقافة الوادي، مطبعة مزوار، 2014م.
12-عمار عوادي، كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف، دار هومة، الجزائر، 2011م.
13-محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2002م.
14-محمد الطاهر بن بلقاسم التليلي القماري السوفي الجزائري، تح: إبراهيم بن محمد الأمين رحماني، كلمات عن الشيوخ، دار ومضة للنشر والتوزيع، جيجل، الجزائر، 2022م.
15-محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847إلى 1954م، دار ألفا ديزاين، الجزائر، 2006م.
16-من أعلام واد سوف، مديرية الثقافة لولاية الوادي، من سلسلة إصدارات دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، مزوار للطباعة والنشر، 2006م.
17-موسى بن موسى، جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي (1931-1937)، مجلة البحوث والدراسات، مج10، ع2، جوان2013م.
19.يوسف زغوان، التعليم العربي الحر بوادي سوف (1931م-1962م) من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية، ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة الوادي، الجزائر، 2015م.